وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

الحمد لله مزيل الهم، وكاشف الغم، أحمدُه سُبحانَه وأشكُرُهْ ، وأتوب إليه وأستغفره، فهو مولي النعم وصارف النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، ذو الشرف الأسمى والخلق الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وبارك وسلم.

شر ما بليت به النفوس يأس يميت القلوب، وقنوط تظلم به الدنيا، وتتحطم معه الآمال، إن في هذه الدنيا مصائب ورزايا ومحناً وبلايا.

آلام تضيق بها النفوس، ومزعجات تورث الخوف والجزع، لكن بالاستعانة بالله وحسن الظن بالله والتوكل عليه سبحانه يشفى كل عليل من علته.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: 153].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: 200].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: 10].

وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: 35].

إن الصبر نصف الإيمان، وركنٌ من أركان الرضوان، وطريق الوصول إلى الرحمن، فلا عجبَ إذ أكَّد المولى سبحانه وتعالى في طلبِه، وجعله من عزم الأمور، ورتَّب عليه مزيد حبّه وقربه، ووعد مَن اتصف به عظيم الأجور، وجعله في هذا الوصف الجليل شريكَ الأنبياء والمرسلين، فإنهم صلوات الله وسلامه عليهم أشدُّ الناس بلاءً وأعظمهم محنة، ما مِن رسول إلا أوذي بأنواع الأذى، وأُصيبَ بأنواع الشدائد، فما كلَّت له عزيمة، ولا ضعُفت له قوة، ومثلهم عبادُ الله المقربون، ولقد لقي نبيُّنا صلى الله عليه وسلم مِن قومه ما يُفتِّت الأكباد ويُذيب القلوب، فما جزع ولا قلق، وما كان جوابه إلا أن يقول: ((اللهم اهدِ قومي؛ فإنهم لا يعلمون)).

لنعلم حبيباتي أن مَن أراد الله بها خيرًا ابتلاها، فمن أعدت للبلاء قلبًا صبورًا ونفسًا راضية مطمئنة، كان لها الحظُّ العظيم، والأجر الكريم، ونالت مِن مولاها ما تتمنَّاه، وأما إن جزعت وسخِطت، فما جزاؤها إلا الحرمان من الأجر، فضلًا عما ارتكبته من الوِزْر، ولا رادَّ لِما قضاه الله.

ويجب أن نعلم أننا مكلَّفون بالواجبات، وممنوعون من المحرَّمات، وهذان قسمان من أقسام الامتحان، إن صبرنا على أداء الواجب، وصبرنا عن فعل المحرَّم، كان جزاؤنا كبيرًا، وأجرنا عظيمًا.

✉ولنعلم أن الصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، فلا إيمان لمن لا صبر له

قال رسول الله ﷺ: (ومَن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وما أُعْطِيَ أحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ) صحيح مسلم

✉والصبر من مقام الأنبياء والمرسلين، وحلية الأصفياء المتقين

قال الله تعالى عن عباد الرحمن: {أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا} (75) سورة الفرقان.

✉وقال عن أهل الجنة: { وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} (24) سورة الرعد.

📋وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: الصبر ثلاثة أقسام:

❶صبر على طاعة الله.

❷وصبر عن محارم الله.

❸وصبر على أقدار الله التي يجريها إما مما لا كسب للعباد فيه، وإما مما يجريه الله على أيدي بعض العباد من الإيذاء والاعتداء.

📃**الأمر الأول**: أن يصبر الإنسان على طاعة الله لأن الطاعة ثقيلة على النفس، وتصعب على الإنسان، وكذلك ربما تكون ثقيلة على البدن بحيث يكون مع الإنسان شيء من العجز والتعب، وكذلك أيضا يكون فيها مشقة من الناحية المالية؛ كمسألة الزكاة ومسألة الحج، فالطاعات فيها شيء من المشقة على النفس والبدن، فتحتاج إلى صبر، وإلى معاناة.

قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:200].

📃**الأمر الثاني**: الصبر عن محارم الله بحيث يكف الإنسان نفسه عما حرم الله عليه، لأن النفس الأمارة بالسوء تدعو إلى السوء، فيُصَبِّر الإنسان نفسه مثل الكذب، والغش في المعاملات، وأكل المال بالباطل بالربا أو غيره، والزنا، وشرب الخمر، والسرقة، وما أشبه ذلك من المعاصي الكثيرة.

🖐فيحبس الإنسان نفسه عنها حتى لا يفعلها، وهذا يحتاج أيضاً إلى معاناة، ويحتاج إلى كف النفس والهوى والدنيا والشيطان.

📃**أما الأمر الثالث**: فهو الصبر على أقدار الله المؤلمة؛ لأن أقدار الله -عز وجل-على الإنسان ملائمة ومؤلمة.

📝الأقدار الملاءمة: تحتاج إلى الشكر والشكر من الطاعات؛ فالصبر عليه من النوع الأول.

📝والأقدار المؤلمة: بحيث لا تلائم الإنسان تكون مؤلمة؛ فيُبتلى الإنسان في بدنه، ويُبتلى في ماله بفقده، ويُبتلى في أهله، ويُبتلى في مجتمعه، وأنواع البلايا كثيرة تحتاج إلى صبر ومعاناة فيُصَبِّرُ الإنسان نفسه عما يحرُمُ عليه من إظهار الجزع باللسان، أو بالقلب، أو بالجوارح.

📋لأن الإنسان عند حلول المصيبة له أربع حالات:

الحالة الأولى: أن يتسخَّط.

والحالة الثانية: أن يصبر.

والحالة الثالثة: أن يرضى.

والحالة الرابعة: أن يشكر.

✉**أما الحال الأولى: أن يتسخط إما بقلبه، أو بلسانه، أو بجوارحه.**

❶التسخط بالقلب: أن يكون في قلبه -والعياذ بالله - شيء على ربه من السخط والشرَه على الله- والعياذ بالله- وما أشبهه، ويشعر وكأن الله قد ظلمه بهذه المصيبة.

و❷أما السخط باللسان: فأن يدعو بالويل والثبور، يا ويلاه ويا ثبوراه، وأن يسب الدهر فيؤذي الله - عز وجل - وما أشبه ذلك.

و❸أما التسخط بالجوارح: مثل أن يلطِمَ خده، أو يصفَع رأسه، أو ينتف شعره، أو يشقَّ ثوبه وما أشبه هذا.

هذا حال السخط، حال الهلِعِينَ الذين حُرموا الثواب، ولم ينجوا من المصيبة، بل الذين اكتسبوا الإثم فصار عندهم مصيبتان، مصيبة في الدين بالسخط، ومصيبة في الدنيا بما أتاهم مما يؤلمهم.

والحال الثانية: فالصبر على المصيبة بأن يحبس نفسه، هو يكره المصيبة، ولا يحبها، ولا يحب أن وقعت، لكن يُصَبِّرُ نفسه؛ لا يتحدث باللسان بما يُسخط الله، ولا يفعل بجوارحه ما يُغضب الله، ولا يكون في قلبه شيء على الله أبدا، فهو صابر لكنه كاره لها.

والحال الثالثة: الرضا؛ بأن يكون الإنسان منشرحا صدره بهذه المصيبة، ويرضى بها رضاء تاماً وكأنه لم يصب بها.

والحالة الرابعة: الشكر؛ فيشكر الله عليها، وكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا رأى ما يكرهُ قال: ((الحمد لله على كل حال)).

🗎فيشكر الله من أجل أن الله يرتب له من الثواب على هذه المصيبة أكثر مما أصابه.

🗎ولهذا يذكر عن بعض العابدات أنها أُصيبت في أصْبُعٍ مِنْ أَصابِعِها، فحمدت الله على ذلك، فقالوا لها: كيف تحمدين الله والأصبع قد أصابه ما أصابه، قالت: إن حلاوة أجرها أنستني مرارة صبرها.

🖃**وأخبر الله عباده انه سيجري عليهم الاقدارليختبرهم**

قال تعالى﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:155] ، هذه الآية فيها قسم من الله-عز وجل -أن يختبر العباد بهذه الأمور.

فقوله سبحانه:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: لنختبرنكم.

﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ لا الخوف كله بل شيء منه؛ لأن الخوف كله مهلك ومدمر لكن بشيء منه.

⇦(الخوف) هو فقدُ الأمن، وهو أعظم من الجوع، ولهذا قدّمه الله عليه، لكن الخائف -والعياذ بالله -لا يستقر لا في بيته ولا في سوقه، والخائف أعظم من الجائع؛ ولهذا بدأ الله به فقال: ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ ﴾ وأخوف ما نخاف منه ذنوبنا؛ لأن الذنوب سبب لكل الويلات، وسبب للمخاطر، والمخاوف، والعقوبات الدينية، والعقوبات الدنيوية.

⇦(وَالْجُوعِ) يُبتلى بالجوع والجوع يحمل معنيين:

المعنى الأول: أن يحدث الله – سبحانه -في العباد وباء؛ هو وباء الجوع، بحيث يأكل الإنسان ولا يشبع.

النوع الثاني من الجوع: الجدب والسنون الممحلة لا يدر فيها ضرع ولا ينمو فيها زرع، هذا من الجوع.

وقوله ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ﴾ يعني: نقص الاقتصاد ، بحيث تُصاب الأمة بقلة المادة والفقر، ويتأخر اقتصادها، وتُرهق حكومتها بالديون التي تأتي نتيجة لأسباب يقدرها الله -عز وجل- ابتلاء وامتحاناً.

وقوله:﴿وَالأَنْفُسِ﴾ أي : الموت ؛ بحيث يحل في الناس أوبئة تهلكهم وتقضي عليهم.

وقوله: ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ أي أن لا يكون هناك جوع، ولكن تنقص الثمرات، تنزع بركتها في الزروع والنخيل وفي الأشجار الأخرى، والله - عز وجل - يبتلي العباد بهذه الأمور ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلَّهم يرجعون.

✉جعل الله هذه الدنيا دار الفناء، ومنزل الاختبار والبلاء، فلا ينجو من بلائها غنيٌّ ولا فقير، ولا عظيم ولا حقير، ولا مؤمنٌ تقي ولا كافر شقي، بل إن حظ المؤمن من البلايا أكبر، ونصيبَه أعظم؛ ليُكفِّر الله سيئاته، ويرفع له درجاته.

طُبعتْ على كدر وأنت تريدها ***** صفواً من الأقذار والأكدار

ومُكلّفُ الأيام ضد طباعها ***** مُتطلبٌ في الماء جذوة نار

✉إن من رحمة الله بعبادِه أنْ أخبرهم بالبلايا قبل حلولِها، وبالمصائب قبل نزولها؛ ليُوطِّنوا أنفسهم على الصبر والتسليم، والرضا بتقدير العزيز العليم، وجعل في هذه المصائب تطهيرًا لأمراض القلوب، ورجوعًا إلى علَّام الغيوب، وتذكرةً بحقارة الدنيا وهوانها، واستصغارًا لأمرها وشؤونها، والصابرون هم الراضون بقضائه على بلائه، الذين يقولون عند صدمة المصيبة: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، ثم بشَّرهم ببشارتين: صلوات من ربهم ورحمة، وزادهم الهداية علاوةً، فنعمتِ البشارتان ونعمتِ العلاوة.
✉سؤال ما هي الآية التي جاءت في سورة البقرة بعد آية إخبار الله سبحانه عباده ببتلائهم بأصناف البلاء؟ وما العلاقة بين الآية السابقة والآية اللاحقة؟

قال تعالى (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ(158) سورة البقرة

✉والصفا والمروة جبلان صغيران، وهذان الجبلان كانت سيدتنا هاجر أم إسماعيل قد ترددت بينهما لتطلب الماء لولدها بعد أن تركهما إبراهيم عليه السلام عند بيت الله الحرام واستحلفك بالله، فبماذا تفكر امرأة عندما يتركها زوجها مع رضيعها في مكان لا طعام فيه ولا ماء؟ هنا قالت هاجر قولتها الشهيرة: ـ الله أمرك بذلك؟ فقال سيدنا إبراهيم: نعم. فقالت: إذن لن يضيعنا، لقد استغنت بالخالق عن المخلوق.

⇦لأن الله سبحانه وتعالى ابتلى هاجر عليها السلام بأصناف من الإبتلاء فتركها بوادي في مكة ليس فيه انس ولا طعام ولا شراب ولا شيء وترك عندها جراب من ماء وقليل من التمروسألته أتتركنا وليس هناك انس فلم يلتفت إليها آلله أمرك بهذا قال: نعم فقالت: إذا لا يضيعنا فرفع الله ذكرها لهذا اليوم جزاء لها على ما صبرت ورضت بأقدار الله.

✉نعم الدنيا قاعة امتحان كبيرة نمتحن فيها كل يوم، فكل ما فيها امتحان وإبتلاء: المال فيها إمتحان، والزوجة والأولاد امتحان، والغنى والفقر امتحان، والصحة والمرض، وكلنا ممتحن في كل ما نملك، وفي كل ما يعترينا في هذه الحياة حتى نلقى الله

قال تعالى: (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) سورة الانبياء :35.

🗐لماذا يبتلينا الله سبحانه وتعالى؟

البـــلاء سُنَّة الله الجارية في خلقه؛ فهناك من يُبتلى بنقمة أو مرض أو ضيق في الرزق أو حتى غير ذلك، فقد قضى الله عزَّ وجلَّ على كل إنسان نصيبه من البـــلاء؛ قال تعالى {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: 2،3]

فمنهم من سيفهم حكمة الله تعالى في ابتلاءه، فيهون عليه الأمر ومنهم من سيجزع ويتسخَّط، فيزداد الأمر سوءًا عليه.

🗐لا بد من اليقين أن الله حكيمٌ عليم، فما مِن شيءٍ يجري في الكون إلا بحكمة؛ لذا ذكر العلماء حِكمًا عديدة للابتلاءات والاختبارات التي يتعرَّض له المسلم في حياته:

❶الرجوع إلى الله فإن هناك الكثير من الناس لا يعودون إلى الله – عز وجل – إلا بعد وقوع البلاء

قال تعالى (فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (19) النساء

قال تعالى (وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)(216)البقرة

❷قدرة الإنسان على التمكين في الأرض من الله – عز وجل – فقد قيل للإمام الشافعي رحمه الله : أيّهما أفضل : الصَّبر أو المِحنة أو التَّمكين ؟ فقال : التَّمكين درجة الأنبياء ، ولا يكون التَّمكين إلا بعد المحنة ، فإذا امتحن صبر ، وإذا صبر مكن.

❸مغفرة الذنوب من الله – عز وجل – فقد قال النبي ﷺ: (ما يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ في نفسِهِ وولدِهِ ومالِهِ حتَّى يَلقى اللَّهَ وما عليْهِ خطيئةٌ) صحيح الترميذي

⇦فأن الابتلاء يكون تطهير العبد من ذنوبه.

❹الابتلاء يرفع درجات العبد في الجنة ويحط عنه الكثير من الدرجات في النار فقد قال رسول الله ﷺ: (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا، إِلا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً) رواه مسلم

❺التفكر في الأخطاء التي قام بها العبد حتى يصل به الحال إلى هذا الأمر، وهل وقوع الابتلاء لتقصير منه، وكثرة لذنوبه، أم لتطهيره من الذنوب ومحبة من الله – عز وجل – له ، فإنَّ الله تعالى يقول : (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِنَ العَذَابِ الأَدنَى دُونَ العَذَابِ الأَكبَرِ لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ).

❻هناك حكمة كبرى من الابتلاء وهي أن يعلم العبد حق العلم أنه لا يمكن لأحد في هذه الدنيا أن يرفع عنه الضر إلا الله – عز وجل – وأن يتوكل عليه حق التوكل في أموره كلها ، ولا يغره نفسه ويعلم أنه ليس له من أمره شيئاً وأن الأمر كله بيدى الله.

❼قال ابن القيم" واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عَدَدِهم وعُدَدِهم وقوة شوكتهم ليضع رؤوسا رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله واضعا رأسه منحنيا على فرسه حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته واستكانة لعزته " وقال الله تعالى :(وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِين).

❽البلاء والمحنة هي من أكثر الأشياء التي يمكن لها أن تجعلك تحمد الله (عز وجل) على النعم الموجودة لديك وتشعرك كم النعم التي يحيطك بها الله وأنت لا تدري.

❾أن الله يربي عبده دائماً بالصبر على الابتلاء، حتى يعلم أنه لا نافع ولا ضار له في هذه الحياة إلا الله – عز وجل– ، يربي عباده بالْمِحَن؛ ليُمحِّص ما في قلوبهم من أمراض؛ قال ابن القيم: (فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء، لطغوا وبغوا وعَتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذَّبه ونقَّاه وصفَّاه، أهَّله لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه)؛ زاد المعاد.

فقد قال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ).

❿المحنة هي أكثر شئ يمكن أن يكشف لك حقيقة الأشخاص من حولك ومن منهم يحبك، ومن يدعى المحبة.

كما قال الشاعر:

جزى الله الشدائد كل خير وإن كانت تغصصني بريقي
وما شكري لها إلا لأني عرفت بها عدوي من صديقي.

❶❶المؤمن حين يبتليه الله – عز وجل – فإن الدنيا كلها تصغر في عينيه، ويشعر بحجمها الحقيقي، وأنها كل متاعها إلى زوال وأنها لا تساوى عند الله جناح بعوضة فقد قال الله – عز وجل- : (وَإِن الدارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَو كَانُوا يَعلَمُونَ) ، (لَقَد خَلَقنَا الإنسانَ في كَبَدٍ).

❶❷من أكثر الأشياء الجميلة التي يجعلنا الابتلاء نشعر بها هو أننا نشتاق إلى الجنة والرجوع إلى الله – عز وجل – ونعلم علم اليقين أن الراحة في الجنة فقد سئل الإمام أحمد بن حنبل متى الراحة يا إمام؟ فقال عند أول قدم توضع في الجنة.

❶❸ومنها لِمَيْزِ الله الخبيثَ من الطيب؛ والصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق

قال تعالى :﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾آل عمران: 179

قال تعالى (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)(3) العنكبوت

قال تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (214) البقرة

✉فهذا استفهام انكاري، أي: أظن الناس ان يتركو من غير افتتان بمجر قولهم بالسان امنا ؟! كلا لا بد من الابتلاء والتمحيص.

🗐 **ابتلي صلى الله عليه وسلم بجميع أصناف البلاء،** بوفاة جميع أولاده في حياته ما عدا ابنته فاطمة رضي الله عنها، كما ابتلي بمقتل سبعين من أصحابه في غزوة أحد، وكـان من بينهم عمه وحبيبه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، هذا بالإضافة إلى ما لحقه من صنوف الأذى من كفار.

✉**ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها:** صاحبت المال والجاه والحسب صبرت وعانت لأجل الدين، حصار ام المؤمنين خديجة رضي الله وعنها في شعب أبي طالب ثلاث سنوات عانوا الجوع والأذى حتى أكلوا أوراق الشجر وانفقت خديجة رضي الله عنها آموالها نصرة لدين الله.

جزاها الله بما صبرت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:(أَتَى جِبْرِيلُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ: هذِه خَدِيجَةُ قدْ أتَتْ معهَا إنَاءٌ فيه إدَامٌ، أوْ طَعَامٌ أوْ شَرَابٌ، فَإذَا هي أتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِن رَبِّهَا ومِنِّي وبَشِّرْهَا ببَيْتٍ في الجَنَّةِ مِن قَصَبٍ لا صَخَبَ فِيهِ، ولَا نَصَبَ) بخاري

⇦القصب هنا: اللؤلؤ المجوف، والصخب: الصياح واللغط، والنصب: التعب

✉**حادثة بئر مَعُونَة:** بتحريض بعض القبائل حتى قتلوا سبعين من الصحابة، من خيار المسلمين وفضلائهم يقال لهم: القراء

✉**خباب بن الأرت:** وفي استبسال عظيم حمل خباب تبعاته، فقد صبر ولم يلن بأيدي الكفار على الرغم من أنهم كانوا يذيقونه أشد ألوان العذاب، فقد حولوا الحديد الذي بمنزله إلى سلاسل وقيود يحمونها بالنار ويلفون جسده بها، ولكنه صبر واحتسب، فها هو يحدث: (شَكَوْنا إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنا: ألا تَسْتَنْصِرُ لنا ألا تَدْعُو لَنا؟ فقالَ: قدْ كانَ مَن قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فيُحْفَرُ له في الأرْضِ، فيُجْعَلُ فيها، فيُجاءُ بالمِنْشارِ فيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، ويُمْشَطُ بأَمْشاطِ الحَدِيدِ، ما دُونَ لَحْمِهِ وعَظْمِهِ، فَما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ) رواه البخاري

📝ففي الحديث تطمين للمؤمنين كي يوطنوا أنفسهم على الصبر على البلاء والاذى وان يثبتوا على الايمان، وبين الله عز وجل أنه إختبر من سبقهم بانواع المصائب والمحن وهذه سنة قديمة جارية في الامم كلها، فلا ينبغي أن يتوقع خلافه، فليميزن الله بين الصادقين في دعوى الإيمان وبين الكاذبين.

✉**وليس فينا من هو أكبر من أن يمتحن وكيف لا** وفي الحديث الصحيح عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: "الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"

كما انه ليس فينا من يملك رفض هذا الامتحان، ولكن فينا من يمتحن بالبلاء فينجح بالصبر والايمان والاحتساب، وفينا من يمتحن بالبلاء فيرسب بالجزع والاعتراض على الله –والعياذ بالله-.

ورحم الله الفضيل بن عياض حين قال:"الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا الى حقائقهم، فصار المؤمن الى إيمانه، وصار المنافق الى نفاقه ".

الاختبار هو المدار الذي تدور عليه الحياة:

قالى تعالى:(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)(2) الملك

وقوله (لِيَبْلُوَكُمْ)أي: ليمتحنكم ليمحصكم، فقد يكون هذا الابتلاء في الحياة الدنيا بالفتن (فتنة المال ،أو الابناء ،أو النساء ،أوالمنصب ،أو الجاه).

وَعنْ أَبي سَعيدٍ وأَبي هُرَيْرة رضي اللَّه عَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قَالَ : «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حَزَن وَلاَ أَذًى وَلاَ غمٍّ ، حتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُها إلاَّ كفَّر اللَّه بهَا مِنْ خطَايَاه » متفقٌ عليه .و« الْوَصَب » : الْمرضُ

النبي أيوب عليه الصلاة والسلام :إن الله سبحانه وتعالى أراد أن يختبر صبر سيدنا أيوب عليه السلام فابتلاه بمرض لم يبقه سليما إلا في قلبه ولسانه ، كما أنه فقد أبنائه وخسر أمواله الطائلة التي كان يمتلكها حتى أصبح رجلا ضعيفا لا حول له ولا قوة ، ولم يعد أحد يزوره من أقاربه وأصدقائه سوى زوجته التي كانت له زوجة صالحة وبارة به ظلت ترعاه طيلة فترة مرضه وعملت في خدمة الناس بمقابل مادي حتى تستطيع أن تطعم زوجها وتخدمه ، وظل نبينا عليه السلام مريضا وفقيرا طوال ثمانية عشر عاما ، وبالرغم من كل المصائب التي حلت به عليه السلام فلم يتوانى عن حمد الله وشكره وازداد صبره صبرا كثيرا إلى أن أصبح يضرب له المثل في صبره

قال تعالى (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (44) ص

وقال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) (31) محمد.

سمية بنت خياط رضي الله عنه (أول شهيدة في الاسلام) وآل ياسر رضي الله عنهم -عمار، وأبوه ياسر، وأمه سمية -يعذبهم المشركون بسبب إيمانهم فيصمدون، وروى الحاكم في المستدرك عن ابن إسحاق قال:(كان عمار بن ياسر وأبوه وأمه أهل بيت إسلام، وكان بنو مخزوم يعذبونهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صبرًا يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة)

استشهدت سمية بعد أن طعنها أبو جهل بحربة بيده في قُبلها فماتت متأثرة بذلك.

فعلينا أن نستعد بأخذ الأسباب وخطوات التصبر التالية؛ حتى يهون علينا البلاء وننال عظيم الثواب:

أولاً: معرفة الحكمة من البـــلاء فالله سبحانه وتعالى يبتلي ليُهذب لا ليُعذب، فعلينا أن نفهم لماذا يبتلينا الله تعالى.

أ) البلاء في حق المؤمن كفارة وطهور، فقد نُبتلي بذنوبنا ومعاصينا؛ كي يُكفِّرها الله عزَّ وجلَّ عنا فلا نقابله بها، ويوم القيامة سنتمنى لو أنه سبحانه قد أعطانا المزيد من الابتلاءات في الدنيـــا.

عن النبي ﷺ قال " ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ ". بخاري

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ" ما يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ في نفسِهِ وولدِهِ ومالِهِ حتَّى يَلقى اللَّهَ وما عليْهِ خطيئةٌ"

وعن سفيان، قال: "ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة، والرخاء مصيبة" سير أعلام النبلاء

ب) البـــلاء دليل حب الله للعبد، والمُحِب لا يتضجر من فعل حبيبه أبدًا،

قال رسول الله ﷺ " إنَّ اللهَ إذا أَحَبَّ قومًا ابتلاهم، فمن صبر فله الصبرُ، ومن جزع فله الجزَعُ" صحيح الجامع

وقال رسول الله ﷺ " مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُصِبْ منه " (البخاري).

ج) البـــلاء يُبلغك المنازل العلا، برفقة النبي محمد، فالعبد تكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل، فما يزال الله يبتليه بما يكره، حتى يبلغه إياها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " إنَّ الرجلَ ليكونُ له عند اللهِ المنزلةَ ، فما يبلُغُها بعملٍ، فما يزالُ اللهُ يبتليهِ بما يكرَهُ حتى يُبلِغُه إياها " السلسلة الصحيحة

كان شُريح يقول "إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني" سير أعلام النبلاء

ثانيًا: تذكَّر أحوال الأشد منك بلاءً، فمن يرى بلاء غيره، يهون عليه بلائه.

مات ابن لعروة بن الزبير وكان قد بُترت ساقه، فقال رضي الله عنه "اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت، وإن كنت أخذت فقد أبقيت؛ أخذت عضوًا وأبقيت أعضاء، وأخذت ابنًا وأبقيت أبناء" (الكبائر للذهبي)

ثالثًا: تلقى البـــلاء بالرضا بقضـــاء الله وقدره، وهذا من أعظم ما يُعين العبد على المصيبة.

(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (11) التغابن

فالبلاء من قدر الله المحتوم، وقدر الله لا يأتي إلا بخيـــر.

قال ابن مسعود: "لأن أعض على جمرة أو أن أقبض عليها حتى تبرد فى يدي أحب إلى من أن أقول لشيءٍ قضاه الله: ليته لم يكن" (طريق الهجرتين وباب السعادتين)

عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله " ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَن رَضِيَ باللَّهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبمُحَمَّدٍ رَسولًا " [رواه مسلم]

فالرضا بقضاء الله يورث حلاوة الإيمان التي تهوّن من أثر الشوك تحت الأقدام.

رابعًا: الجزع وعدم الرضا لا ينفعا، فالتحسر على المفقود لا يأتي به.

✉كان يحيي بن معاذ يقول "يا ابن آدم، ما لك تأسف على مفقود لا يرده عليك الفوت؟!، وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت؟!" (صفة الصفوة)

خامسًا: معرفة طبيعة الدنيـــا وأنها دار عنـــاء، فالدنيـــا بمثابة القنطرة التي تعبر بها إلى الدار الآخرة، فلا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو ات.

(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)

(أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ)صححه الالباني

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)التوبة

سادسًا: معرفة ثواب الصبر العظيم، وحينها يهون عليك كل بـلاء، قال تعالى { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10]

مات عبد الله بن مطرف، فخرج مطرف على قومه في ثياب حسنة وقد ادهن، فغضبوا وقالوا: يموت عبد الله ثم تخرج في ثياب مثل هذه مدهناً؟!!، قال: "فأستكين لها وقد وعدني ربي تبارك عليها ثلاث خصال كل خصلة منها أحب إلي من الدنيا كلها؟!، قال الله عزَّ وجلَّ {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: 156,157] فأستكين لها بعد هذا؟" (صفة الصفوة)

والصبرُ مثلُ اسمه مُرٌّ مَذَاقُهُ لكنْ عواقبه أحلى من العَسَلِ

سابعًا: ثِق بحدوث الفرج من الله سبحانه وتعالى، إذا رأيت أمرًا لا تستطيع غيره، فاصبر وانتظر الفرج

قال تعالى {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح: 5,6].

ثامنًا: استعن بالله والجأ إليه واطلب منه المعونة، واسأله أن يُلهمك الصبر والرضـــا بقضائه؛ كي يهون عليك البلاء وتنجح في الامتحـــان الذي يورثك الجنة إن شاء الله تعالى.

📝فلابد من التوكل والاستعانة، كي تنال الصبرقال الله تعالى {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ..} [النحل: 127].

📝اصبروا وأبشروا، إن صبركم على البلاء لا يعلم جزاءه إلا رب الأرض والسماء:

قال جل وعلا: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الزمر:10]

📝وقد وعدك الله أيها المبتلى الصابر بأن يصلي عليك، وبأن يرحمك، وبأن يهديك: فقال سبحانه: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) [البقرة:155-156]

📝انظروا إلى الجزاء: أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ

عن أبي يحيى صهيب الرومي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإِنْ أَصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له) رواه مسلم.

نواسي قلوبنا مهما عظم البلاء حقيقة لا يمكن انكارها:

قال تعالى (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا) (إبراهيم:34)

ونربط على أوجاعنا مهما طال البلاء مآله للزوال:

وقوله عزَّ وجلَّ {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (البقرة: 216)

قال تعالى (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)(الرحمن:26-27)

قال تعالى (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ)(17) الأعلى

كن عن همومك معرضاً وكل الأمور إلى القضا

وابشر بخيرٍ عاجلٍ تنسى به ما قد مضى

فلربَّ أمرٍ مسخطٍ لك في عواقبه الرِّضا

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّاتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا

الفقيرة لله الداعية: آمنة يغمور

اليوم: الأربعاء

2020/7/1

10 ذو القعدة 1441